



فاطمة ناصر

ملاحظات هابرماس حول مشروع السلام الدائم لكانط

هذا المقال يعرض ما قاله الفيلسوف الألماني هابرماس عن مشروع السلام الدائم الذي طرحه كانط، وتأتي أهمية ما قاله هابرماس من كونه صادراً عن شخص عميق المعرفة بكانط وأطروحاته الفلسفية بل يعده البعض امتداداً لفلسفة كانط، وهو ملخص لمقال محكم نشر بمجلة التفاهم للأستاذ السيد ولد أباه وهو باحث وأكاديمي من موريتانيا.

كل بلدان العالم على اختلاف توجهاتها السياسية. وقد تسبب ذلك في وجود مجتمع عالمي تتجذر فيه الفوارق التنموية وتسود فيه أنظمة السوق العالمي، ولكن هناك توحّد في مجابهة المخاطر المشتركة مثل: الإرهاب، وتجارة السلاح والمخدرات. وهي بذلك تؤسس ما يمكن اعتباره «المجموعة غير الإرادية» المتوحدة ضد المخاطر والمهددات الجماعية.

الدفاع عن فكرة الكوسموبوليتية ينهي هابرماس قراءته بمواجهة من ينتقدون فكرة الكوسموبوليتية وجدواها في تحقيق السلام العالمي. وأبرز المعارضين لهذه الفكرة الفيلسوف الألماني كارل شميت الذي يرى أن نظرية السلم الدائم الكانطية ليست سوى خديعة التصورات السلمية التي ستفضي في النهاية إلى شن حروب عادلة تحت راية القانون الكوسموبوليتي. وهو بذلك سوف يشعل الحروب وسيتم التدخل فيها تحت ذرائع أخلاقية وسيحول الخصم إلى عدو متجرد من الإنسانية. بينما يؤكد هابرماس أن حقوق الإنسان تنتمي للحقل القانوني وهذا ما يمنحها الصفة الإلزامية. و أن الحروب ستحسر حين يتم تضمين حقوق الإنسان بداخل النظام القانوني لكل دولة بحيث تكون جزءاً لا يتجزأ من كيانها القانوني. في حين يظن شميت أن تجريم الحرب بشكل كلي دون التفرقة بين الحرب العدوانية والدفاعية هو السبيل للحد من الحروب. نرى في المقابل أن هابرماس يصر على أن بقاء القانون الكلاسيكي وعدم تغييره وعدم تضمين القانون الكوسموبوليتي فيه سوف يمكن الدول من استخدام العنف متى ما ارتأت ذلك، والحل هو تعويض ذلك بخيار العقوبة والتدخل الذي ترضه المنظمات الدولية.

٢- وصف المشكلة القائمة: الصيغة القانونية الفيدرالية بين الشعوب

٣- الحل التاريخي والفلسفي: تحقيق فكرة الدولة الكوسمبولوتية

الحرب تمثل التهديد الأبرز في تحقيق فكرة السلام الدائم إلا أن هذه الحرب تغيرت منذ كتابة كانط لكتابه حيث لم تكن الحرب حينها مجرمة لذاتها ولكن التجريم كان للممارسات التي تقع فيها. أما الزمن المعاصر الذي ينتمي إليه هابرماس فهو يحرم الحرب العدوانية. كما لا ننسى أن آثار الحروب المعاصرة أكثر فتكاً من سابقتها بسبب تطور التقنيات القتالية. وإن كانت الحروب تغيرت فذلك هي الشعوب وسلوكيات الدول تغيرت أيضاً وأثرت على سير الأحداث: فزاد حشد النزعات الوطنية التي تسبب أضعف الصراعات، والأنظمة الديمقراطية باتت تستخدم القوة لتفرض أيديولوجياتها، وزادت الهيمنة الرأسمالية والصراعات الاجتماعية المصاحبة لها، وعودة التجارة التي سلبت الدولة قدرتها على التحكم بالعنف، وسادت وسائل الاتصال والعوامل الافتراضية وأثرت على النقاش العمومي الذي وقف عاجزاً عن السيطرة على العنف والإقصاء. إن هابرماس يؤمن بنجاح فكرة كانط حول الكوسمبولوتية ولكن مع وجوب مراجعة صياغتها بسبب تغير الظروف العالمية، وقد كان للحرب العالمية الأولى والثانية دور كبير في إعادة نظرية كانط للساحة الدولية وظهور التنظيمات الدولية كرابطة الأمم وهيئة الأمم المتحدة.

إعادة صياغة هابرماس لنظرية السلم الدائم

اشتغل هابرماس في إعادة صياغتها على ثلاثة أصعدة:

أولاً: السيادة الخارجية للدول التي لا يرى هابرماس أنها تستقيم كما تصور كانط عن طريق التحالفات الدولية ووجود السيادة الخاصة بكل دولة. هابرماس يعتقد أن الأجدى هو الجمع بين الروابط الخارجية التعاقدية بين الدول وبين السيادة الداخلية التي تستوجب وجود ضوابط دستورية مشتركة بين كافة الدول. وبالتالي تحترم كافة الدول القانون السيادي الذي تشترك فيه.

ثانياً: السيادة الداخلية. في حين يقول كانط إن الاتحاد الكوسمبولوتي بين الدول يكون على شكل تحالف فيدرالي، فإن هابرماس يعتقد أن هذا التحالف غير كاف، وليكون فاعلاً فإنه يجب أن يكون تحالفاً كوسمبولوتياً. وهو بذلك يتفق مع كارل شميت في ضرورة وجود قانون كوسمبولوتي فهو الذي يحقق ترابط البشرية بشكل حر ومتساو. ثالثاً: الهيكل الجديدة للمجتمع العالمي. تخيل كانط ائتلاف الدول على شكل تحالف بين الدول المسالمة. وما تحقق اليوم هو وجود نظام دولي يجمع

نقاط التوافق والاختلاف بين هابرماس وكانط لا يخفى على المتخصص والقارئ المطلع على كتابات هابرماس الفيلسوفين أن يدرك مدى ارتباط هابرماس بكانط. ففي أولى خطواته الفلسفية اقتبس هابرماس مبدأ العمومية **publicite** من كانط ووظفه في نصه الذي يتحدث عن التنوير. وعلى الرغم من تأثر هابرماس بكانط وإعجاب به بتوجهاته لتجاوز الميتافيزيقيا إلا أنه يختلف معه لتشكيل محكمة تحاكم العقل لتمكين «الاستخدام الشرعي للعقل» وهو يميل إلى نقد الاستخدام التاريخي والاجتماعي للعقل، أما الخندق الكبير الذي يجتمع فيه كانط وهابيرماس فهو ذلك الذي يواجه عدوين يتمثلان في الآتي:

١- نظرياً: مواجهة التقليد الميتافيزيقي

٢- عملياً: مواجهة أشكال التعصب بصنفيه الديني والسياسي.

فالتنوير هو المشروع الذي يؤمنان به وفيه يريان كل الحلول والأدوات الصالحة لمواجهة النزعات التفكيكية وما بعد الحداثية الغارقة في الراديكالية الرافضة لمساحات البرهنة والنقاش العمومي.

ملخص عن مشروع كانط حول السلام الدائم

تعد رسالة كانط حول السلام الدائم من آخر كتاباته فقد تم نشرها عام ١٧٩٥ وهو كتابه الوحيد أعيد نشره ١٢ مرة في حياته، وموضوعها حول ما يمكن وما يجب على الإنسان ممارسته في ممارسته العملية للحرية. وفيها يحدد كانط ثلاثة أسئلة يتناولها ويشرحها باستفاضة في محاولة للإجابة عنها لنفهم السؤال الجوهرية (ما هو الإنسان؟) وهي:

- ١- ماذا يمكنني كإنسان أن أعرف؟
- ٢- ماذا يجب علي أن أفعل؟
- ٣- ما هو المسموح لي بأن أرجوه؟

هناك القانون الذي يحيط بهذا الإنسان ويقنن تصرفاته. غير أن كانط يرى القانون بصفته «الفعل العادل الذي يسمح بتعايش حرية كل فرد مع حرية الفرد الآخر حسب قانون كلي، حيث تسمح قاعدته المعيارية بهذا التعايش» ، وهو لا يرى بجدوى القوانين المحلية ولكن يرى في «القانون الكوسمبولوتي» حلاً وأملاً لإيجاد السلم الدائم بين كافة الشعوب.

تفاعل هابرماس مع السلام الدائم لكانط

حاول هابرماس الإجابة عن الأسئلة التي طرحها كانط عبر تبسيطها إلى ثلاثة محاور هي:

- ١- غاية الفكرة: السلام الدائم